

نظرة على مجتمع مجاز الصفاء أثناء الفترة القديمة من خلال الكتابات الأثرية دراسة تحليلية

A look at the metaphor society of Medjez -Sfa, the ancient period ,Through archaeological writings, an analytical study

صلاحي بوعلام، مخبر التراث الأثري وتثمينه جامعة تلمسان boualem.slahi@univ-tlemcen.dz

فريدة منصوري، معهد الآثار جامعة الجزائر 2، Farida.mansouri@univ-alger2.dz

تاريخ النشر: 31 / 12 / 2022

تاريخ القبول: 29 / 09 / 2022

تاريخ الاستلام: 10 / 09 / 2022

ملخص:

عرفت منطقة شمال إفريقيا وعلى الخصوص منطقة مجاز الصفاء بولاية قالمة تعاقب العديد من الحضارات، بسبب موقعها الاستراتيجي نتيجة لعدة ظروف، منها الحروب والتبادلات التجارية، وهذا التعاقب أثر على التركيبة الاجتماعية للمنطقة والمعتقد الديني للسكان، كما أثر على عاداتهم وتقاليدهم.

إن الهدف من هذا البحث هو إثراء وحماية التراث الأثري الوطني، بالإضافة إلى الكشف عن التنوع الاجتماعي والديني وذلك من خلال دراسة المعطيات البيبليوغرافية والميدانية، إذ تعتبر منطقة مجاز الصفاء من بين المناطق الغنية بالفضاءات الريفية القديمة، التي تعد جزء من إقليم المملكة النوميديّة، ثم جزء من الأراضي الرومانية والبيزنطية.

خلال عملية البحث البيبليوغرافي تحصلنا على معطيات هامة، خاصة المناقشات التي وردت في مجموعة من الكتب والدوريات، لكن أثناء المسح الأثري الذي قمنا به على مراحل متعددة، عثرنا على العديد من المعالم واللقى الأثرية، التي تعتبر شاهدا ماديا على مختلف الفترات التاريخية، التي شهدتها المنطقة نتيجة استقرار ونشاط الانسان القديم فيها.

كلمات مفتاحية: مجاز الصفاء، عين تحميمين، مشته الرصفة، كدية البطوم، فضاء ريفي، عنصر أجنبي، الفترة الوثنية، الفترة المسيحية، المجتمع، الديانة.

تصنيف JEL : XN1، XN2.

Abstract:

The North African region, and in particular the Medjez -Sfa area in the Wilaya of Guelma, was known by many civilizations because of its strategic location as a result of several conditions, including wars and trade exchanges, and this succession affected the social structure of the region and its religious belief.

This research aims to enrich and protect the national archaeological heritage, in addition to revealing social and religious diversity, through the study of bibliographic and field data, as Medjez -Sfa is considered among the areas rich in ancient rural spaces that are part of the Numidian Kingdom region, and then part of The Roman as well as the Byzantine period, which left archaeological evidence of cultural and historical importance.

During the bibliographic research process, we obtained important data, especially the scripts which were mentioned in some books and periodicals, however, during the archaeological survey that we carried out through multiple stages, we did not find many monuments and archaeological finds that are a significant witness to the various historical periods that passed in the region correspondingly to the settlement and activity of the ancient man in all the areas he inhabited.

Keywords:

Medjez -Sfa, Ain Tehamimine, Mechtet El Resfa, Koudiat el Batoum, rural space, foreign element, pagan period, Christianity, society, religion.

* صلاحي بوعلام، الإيميل: boualem.slahi@univ-tlemcen.dz

. مقدمة:

تزرخر بلدية مجاز الصفاء الواقعة في الشمال الشرقي لولاية قالمة، وبالضبط دائرة بوشقوف، بالعديد من الفضاءات الريفية، التي تعود للفترة القديمة، وهي غنية بمختلف المخلفات الأثرية، سواء المعالم أو اللقى، وخاصة الكتابات الليبية واللاتينية التي تعود لحضارات متعددة، التي يمكن استغلالها كمعطيات في أي دراسة، خاصة التعرف على البيئة الحضارية والتاريخية للمنطقة، فانطلاقا من هذه الشواهد المادية يمكن التعرف على المجتمع وتكوينه ومختلف الثقافات وديانته، كما يمكن التأريخ له، وتكتسي هذه الكتابات الأثرية المكتشفة أهمية كبيرة إذ تعطينا صورة المجتمع الذي كان يعيش بالبيئة المكتشفة بها في الفترة القديمة والتي تم العثور عليها، وهي كتابات جنائزية كان الهدف منها تخليد ذكرى الميت وتجسيد مختلف ما يتعلق بحياته اليومية والدينية وطقوسه الجنائزية.

ومن خلال هذه الدراسة ارتئينا الوقوف على مجتمع مدينة مجاز الصفاء، أثناء الفترة القديمة قبل وبعد التواجد الروماني في شمال إفريقيا باعتبارها مصدرا هاما للدراسة والتعرف على المجتمع، إذ تمكننا من معرفة الأسماء وأصل الأشخاص وانتمائهم ورتبهم الاجتماعية، والتعرف على كتي الأشخاص وديانتهم، وكان الهدف الرئيسي من هذه الدراسة هو تسليط الضوء على مجتمع عين تحميمين ومشته الرصفة، للتعرف على تكوين المجتمع وديانته من خلال مختلف الكتابات التي تم العثور عليها من خلال أبحاثنا الميدانية والبيبلوغرافية وأثناء عملية المسح التي قمنا بها ببلدية مجاز الصفاء. انصب اهتمامنا على دراسة الكتابات الأثرية لهاتين المدينتين والمقدرة بإثنى عشر كتابة، للتعرف على مضمونها ومحاولة الإجابة على بعض التساؤلات المطروحة، وهذا ما جعلنا نتساءل ونطرح إشكالية عن سكان هاته المنطقة وديانتهم، فمما يتكون مجتمع مجاز الصفاء وماهي ديانته؟.

نتطرق من خلال هذا البحث حول مجتمع مجاز الصفاء وديانته بناء على الكتابات الأثرية، التي تم العثور عليها من خلال البحث البيبلوغرافي، التي تم العثور عليها من قبل الباحثين أثناء الفترة الاستعمارية في الفضاءات الريفية وعلى حوافها، رغم قلتها وقلة معطياتها العلمية في ظل غياب أي دراسة للمنطقة، لمحاولة الإجابة على الإشكالية المطروحة من قبلنا محاولة للتعريف بهذا المجتمع والكشف عن مستواه الاجتماعي وغناه التراثي من خلال مخلفاته.

اعتمدنا في معالجة بحثنا هذا على عدة مناهج، منها المنهج الوصفي والتاريخي، الذي من خلاله تمكننا من نقل بعض المعطيات والمادة العلمية، وكذا المنهج الاستنباطي والمنهج التحليلي، الذي اعتمدنا عليه في تحليل المعطيات والمادة العلمية، حتى يتسنى لنا الإحاطة بكل جوانب الموضوع وتقديم الموضوع في قالب علمي وموضوعي قدر المستطاع.

الثيء المؤسف أنه يستحيل القيام بدراسة تفصيلية للمجتمع والتعرف على الأسماء والقبائل والوقوف على مكونات المجتمع وفتاته أو الأصل الجغرافي وكذلك بالنسبة للديانة، لانعدام المصادر وقلة المراجع والمعطيات الميدانية المادية، التي يمكن الاعتماد عليها للقيام بالدراسة، لذلك حاولنا الوقوف على هذا الجانب، بإعطاء نظرة وجيزة عنه، وذلك بالتطرق له من خلال محورين، المحور الأول تناولنا فيه المجتمع في نقطتين، كما عالجتنا من خلال المحور الثاني الديانة في نقطتين.

2. المجتمع

نتناول دراسة المجتمع بالاعتماد على الكتابات الليبية واللاتينية التي تعود للفضاءات الريفية المتواجدة بمجاز الصفاء في ظل غياب المصادر والمراجع التي تناولت هذا الموضوع ونقص المعطيات المادية، ومن خلال الوقوف على هذه الكتابات الأثرية، باعتبارها مصدر هام لأي دراسة وخاصة المجتمع -لأنها تمنحنا معطيات هامة- فهي تتضمن اسم الشخص ونسبه وكنيته وقبيلته، وفي بعض الأحيان نجد بها حتى وظائفه المختلفة التي يمكن من خلالها التعرف على الشخص ومكانته الاجتماعية، وبالاعتماد على هذه الكتابات نجد أن هذه الفضاءات الريفية في الفترة القديمة كانت تضم العنصر المحلي والأجنبي، وسنتناول ذلك في نقطتين هما:

1.2 العنصر المحلي:

إن منطقة عين تحميمين كانت مأهولة منذ القدم، وهي تقع ضمن أراضي مملكة الماسيل وسكانها الأصليين هم الأمازيغ، وقد ورد ذكر هذا العنصر عند العديد من الكتاب القدامى من خلال كتاباتهم، خاصة الكاتب تاسيت، الذي تحدث عن الحرب البونية، كما هناك من الباحثين من أطلق عليه اسم البربر، منهم الحاكم الروماني لإفريقيا الجديدة سالوست.

كما عرف السكان المحليين بعدة أسماء نسبة لأصولهم العرقية، منها الليبين والنوميديين، الجيتول والمور، كما عرفوا عند المصريين القدامى باسم الليبو، وعرف الأمازيغ عند المؤرخ اليوناني هيرودوت باسم MAXYES، كما عرفوا كذلك باسم البربر.

وأهم مصطلح عرف به العنصر المحلي في الفترة القديمة، سواء أثناء التواجد الروماني أو قبله هو المصطلح الروماني BARBARIKUM يوناني الأصل أو مصطلح NOMIDAE، كما عرفوا باسم الماسيل أو الماسيسيل أو المازيس، واهتمامنا ينصب في هذا البحث على العنصر المحلي، الذي سكن المنطقة محل الدراسة بغرض النظر عن أصوله.

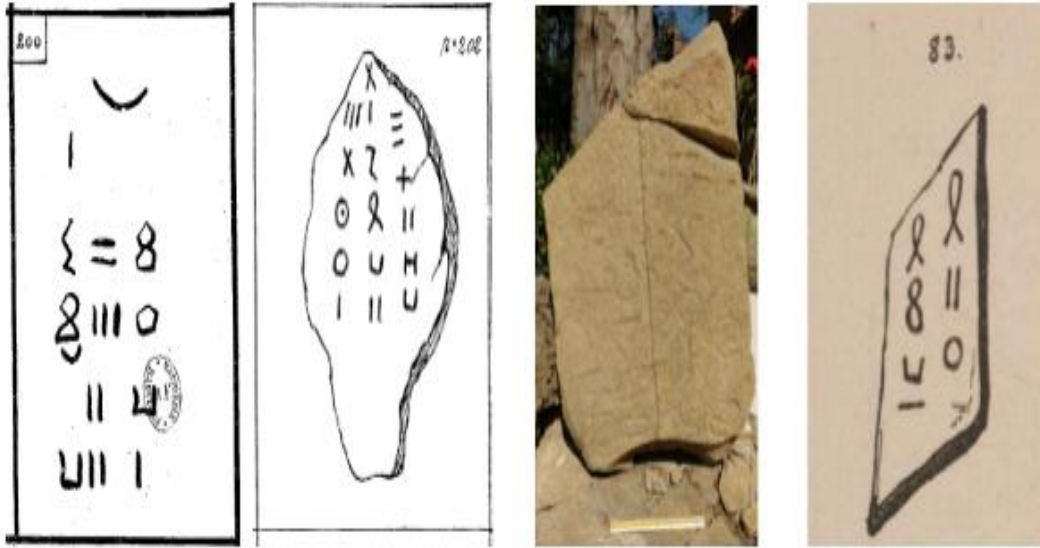
وتناول الباحث Gsell مختلف التسميات التي أطلقت على السكان المحليين، المشار إليها في الفقرات السابقة ومصدرها بالتفصيل، أين خصص لها الفصل الثاني كاملا في المجلد الثاني من كتابه الشهير التاريخ القديمة لشمال إفريقيا، تحت عنوان قبائل موطن وشعب (Gsell St., 1922, pp.102.120).

حسب بعض المعطيات البيبليوغرافية التي حصلنا عليها من مختلف المراجع، فقد تواجد العنصر المحلي بها والذي كان يتكلم اللغة الليبية ويكتب بأحرف التيفيناغ، ثم اللغة البونية والكتابة بأحرف البونيقية حسب بعض المراجع (قداش محفوظ، 1993، ص 32)، ما يؤكد أنه سبق التواجد الروماني بالمنطقة.

حيث أنه من المعروف أن شمال إفريقيا وخاصة الشريط الساحلي أثناء الفترة القديمة، سكنته قبائل الأمازيغ التي كانت موزعة على مملكتي الماسيل والماسيسيل، التي أسست ممالك لها في شمال إفريقيا قبل توحيدها على يد ماسينيسا، تحت راية المملكة النوميديّة (Mercier E., 1888, p101) التي ضمت المملكتين: الماسيل تحت حكم ماسينيسا وموريتانيا والماسيسيل تحت حكم سيفاقص، يفصل بينهما نهر الملوية (D'Anville M, p.p. 90-91) لتصبحا مملكة واحدة.

إلا أنه من الثابت والمستقر عليه تاريخيا وعلميا، أن العنصر المحلي المتواجد بالمنطقة ينتمي للأمازيغ، وهم السكان الأصليون لشمال إفريقيا، الذين عرفوا عند الكتاب القدامى بأسماء مختلفة كالليبيين أو المازيس (قداش محفوظ، 1993، ص 29 و30)، وكانوا ضمن مملكة الماسيل قبل التوحد، وقد امتد المجال الجغرافي لليبيين من غرب مصر بالشرق إلى غاية موريطانيا غربا.

بالرجوع إلى الكتابات الأثرية الليبية (Faidherbe, 1873, p.p.64-65) التي عثر عليها بالموقع الأثري عين تحميمين إلى جانب الكتابات الأثرية اللاتينية التي تم العثور عليها في الموقع الأثري كدية البطوم (Gsell St., 1922, p.12)، تأكد لنا تواجد العنصر المحلي بمنطقة مجاز الصفاء، إلا أنه بالاعتماد على هذه الكتابات الأثرية وحدها، لا يمكننا التعرف على العنصر المحلي الذي سكن المنطقة وأصوله، نتيجة لتعدد القبائل والأعراق في الشمال الإفريقي، وخاصة بالنسبة للكتابات الأثرية الليبية (الصورة رقم 01) لعدم معرفتنا محتوى هذه الكتابة، نتيجة لبرتها وعدم وضوح حروفها، بالإضافة إلى عدم القدرة على دراستها لغويا لانعدام المختصين في هذا المجال، وهناك من سعى إلى دراسة اللغة الليبية من خلال اللغة البونية، إلا أنه إلى حد الساعة لا توجد أي دراسة علمية موضوعية لدراسة الكتابات الليبية، نتيجة لاندثار اللغة الليبية في وقت جد مبكر، أين خلفتها التيفيناغ والبونية.



الصورة رقم 01.

أما بالرجوع إلى الكتابات الأثرية اللاتينية (الصورة رقم 02) التي عثر عليها بمقبرة كدية البطوم بمشقة الرصفة، فقد اتضحت نوعا ما معالم المجتمع من خلال الوقوف على بعض الأسماء المحلية، وقد مدتنا الكتابة الأثرية (الصورة على اليمين) من خلال محتوى السجلين اللذان تحتويهما، اسمين محليين، ففي السجل الأول ورد ساتور الذي عاش 87 سنة، أما في السجل الثاني ورد اسم صولان من دون ذكر النسب ولا الكنية ولا حتى القبيلة ولا أي معلومة متعلقة بهما. إلا أن الشيء المثير للاهتمام في هذه الناقشة، ظهور التأثير المحلي عليها من خلال الهلالين اللذين يعتليان السجلين، فالهلال ارتبط بمعتقد ديني محلي منذ القدم، وهو الإله بعل حمون، كما تضمنت رمزية ارتبطت بالآلهة الرومانية ماناس، وبذلك تكون هذه الناقشة قد جمعت بين الرمزية المحلية والأجنبية، وهو ثنائي دليل على كون الناقشة تعود للعنصر المحلي.



الصورة رقم 02 (Calmettes F., 1870, planche III)

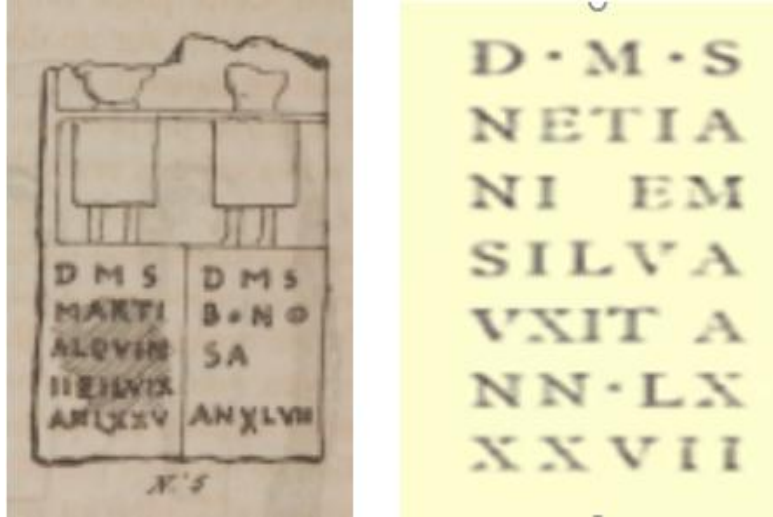
2.2 العنصر الأجنبي:

يعد من المكونات الهامة لمجتمع الفضاءات الريفية المتواجدة بمجاز الصفاء أثناء الفترة القديمة، ونقصد بالعنصر الأجنبي المواطنون ذوو الأصول الرومانية وغيرهم من المستوطنين ذوي الأصول المختلفة الذين استقروا بالمنطقة، فقد بدأ تواجد العنصر البشري الأجنبي في المنطقة على غرار باقي المناطق منذ القدم، ولا يمكننا تحديد تاريخ دقيق ولو بالتقريب، نظرا لانعدام المصادر المادية والبيبلوغرافية والمراجع التي تؤرخ لذلك.

إلا أنه من الثابت والأكيد تواجد العنصر البشري الأجنبي بهذه المنطقة منذ القدم، خاصة مع التواجد الروماني في شمال إفريقيا الذي يعود لنهاية القرن الثاني قبل الميلاد، بسقوط قرطاجة سنة 146 ق م، وتواجده بمحيط الموقع في بداية القرن الأول ميلادي، ما نتج عنه من تنوع اجتماعي، تطبيقا لسياسة الرومنة التي بنيت استراتيجيتها على الغزو الاجتماعي والاقتصادي والديني والثقافي إلى غير ذلك من جوانب الحياة، وهذا ما تؤكدته الكتابات الأثرية اللاتينية التي تحوي أسماء أجنبية، منها كتابة أثرية عثر عليها بموقع عين تحميمين (Gsell St., 1922, p.88)، وبالإضافة إلى كتابة أثرية أخرى تم العثور عليها بموقع كدية البطوم بمشقة الرصفة (الصورة رقم 03) (Calmettes F., 1870, P.195 et planche III).

لقد أمدتنا كتابة موقع عين تحميمين التي تعد فريدة من نوعها رغم بساطتها، باسم أجنبي غير معروف وغير متداول حسب الأبحاث التي توصلنا إليها، والاسم القريب له في المعجم اللاتيني هو اسم Venetiani، مما يؤكد خصوصية المنطقة، فهذه الكتابة أعطتنا اسما وكنية لاتينيين، كما أنها أعطتنا تقليدا هاما من التقاليد اللاتينية وخاصة الفرد الروماني، إلا أنها بسيطة جدا، تفتقر للمعطيات الهامة، التي يمكن من خلالها المساعدة على إجراء دراسة تفصيلية للمجتمع أو التعرف على إحدى القبائل، التي استوطنت المنطقة أثناء الفترة القديمة، فهي لم تذكر لنا سوى اسم المرأة ونسبها وكنيتها وعمرها (نتياني إمراتا سلفا عاشت 87 سنة)، دون ذكر قبيلتها ولا أي معلومة متعلقة بها، مما يرجح فرضية أن هذه الناقشة، تعود لبداية القرن الأول الميلاد لسيدة من عامة الناس.

كما أمدتنا الكتابه الأثريه لموقع كديه البطوم بمشته الرصفه، اللى تضم سجلين، يعلو كل منهما شخص منحوت بشكل هندسى باسم أجنبى لرجل، وهذه الكتابه لم تذكر لنا سوى اسم الرجل ونسبه وعمره (مثيرىالس ابن كوينتى الذى عاش 77 سنه)، دون ذكر كنيته أو قبيلته ولا أى معلومه متعلقه به، والغريب أن الاسم ثنائى، والسجل الثانى نجد به اسم امرأة عاشت 47 سنه، مما يرجح فرضيه أن هذه الناقشه، تعود لبدايه القرن الأول الميلادى، لأحد من عامه الناس.



الصورة 03 (Calmettes F., 1870, planche III), (Gsell St., 1922, p.88)

ومن خلال الكتابات الأثريه اللاتينيه اللى عثر عليها بموقع كوديت البطوم التابع لمشته الرصفه، اتضح نوعا ما صوره المجتمع بهذه المنطقه (Calmettes F., 1870, P.195 et planche III)، وخاصه تواجد العنصر الأجنبى بالمنطقه، فقد أمدتنا نقيشه كديه البطوم اللى تتكون من سجلين باسم وكنيه لاتينيه، وهو كيسيلىوس بريموس، الذى عاش 78 سنه.



الصورة 04 (Calmettes F., 1870, planche III)

إلا أننا اعتمدنا على هذه الناقشات لتأكيد تواجد العنصر الأجنبى فقط، وتعذر علينا حتى إعطاء لمحة بسيطه عن تكوين المجتمع، فلا يمكننا من خلالها دراسه الأسماء أو الكنى، كما لا يمكننا ذكر قبيله سكنت الموقع نتيجة لبساطتها وعدم تضمها لمعلومات عن الأشخاص الذين المعنيين بهذه الكتابه.

كما أن هناك دليل آخر على تواجد العنصر الأجنبي بمنطقة عين تحميمين، وهو القلعة (Gsell St., 1911,p.26)، وهناك مخيم عسكري بمنطقة عين تحميمين ورد ذكره في عدة مراجع، وهو موضح على الخريطة التي أنجزها العقيد الفرنسي Mercier، والتي تم نشرها في دورية B.C.T.H (Mercier E., 1888, p.p. 101- 119)، كما ذكره لنا في نفس الدورية، والثابت من خلال العديد من المراجع التي تكلمت عن الجيش الروماني، خاصة في شمال إفريقيا، أن الجيش الروماني، كان يتكون من المواطنين الرومانيين والأجانب الراغبين في الحصول على حق المواطنة الرومانية إلى جانب بعض السكان المحليين (قداش محفوظ، 1993، ص 167)، خاصة قبل صدور قانون كركلا في بداية القرن الثالث ميلادي وبالضبط سنة 212م، الذي منح حق المواطنة لكافة سكان الأقاليم الرومانية (نسيم واكيم اليازي، الطبعة الأولى، ص 684).

والثابت تاريخيا أن الفرقة الثالثة الأغسطسية، هي فرقة رومانية أنشئت من أجل استعمار شمال إفريقيا، وكانت تضم عناصر من مختلف مناطق وأرجاء الإمبراطورية الرومانية، خاصة من المشرق العربي وبلاد الأناضول ومختلف أرجاء أوروبا، وكلفت بحماية المنطقة وأسندت لها عملية الكنترة وشق الطرقات وتخطيط وبناء المدن، التي كانت تقوم بها مصالح الهندسة العسكرية التابعة لها، وكانت تساعد في مهامها فرق مساعدة مكلفة بالحماية وحفظ الأمن والتدخلات السريعة لحفظ الأمن.

تجدر الملاحظة في هذا السياق أننا لم نتناول مجتمع مجاز الصفاء من حيث الجانب الإداري قبل سنة 212 م، لانعدام المعطيات الخاصة بهذا الجانب، لأن المجتمع الروماني في هذه الفترة بالذات، كان تنظيمه وإدارته تتعلق بحق المواطنة، التي كانت تكتسب بشروط محددة بموجب القانون الروماني، لأن الإمبراطورية الرومانية كانت مكونة من المواطنين الرومانيين والأجانب.

3. الديانة

نتناول هذا العنصر من خلال المعطيات البيبليوغرافية والكتابات الأثرية اللاتينية، التي تم العثور عليها في المنطقة ومحيط الموقع والمعطيات البيبليوغرافية، التي تؤكد أن الموقع شهد مرحلتين في ظل غياب المعطيات الميدانية. فقد شهد الفترة الوثنية والفترة المسيحية، اللتين سوف نقف بالتفصيل عبر هذا المحور على هاتين الفترتين، التي شهدتهما المنطقة من خلال نقطتين وهما:

1.3 الفترة الوثنية:

ارتبطت بشخص الإنسان منذ الأزل، وكان الإنسان يعلم أن هناك خالق لهذا الوجود، فحاول تفسير الظواهر المحيطة به مما قاده لتقديسها، وقام بالتقرب من هذا الخالق بملئه الفراغ الروحي بآلهة يعبدها، وجعل لكل ظاهرة إلهة يعبده بطقوس محددة، يقوم عليها رجال الدين بمختلف رتبهم، وخصص لكل إله أماكن لممارسة هذه الطقوس التعبدية. تؤكد المعطيات البيبليوغرافية والكتابات الأثرية اللاتينية، أن سكان منطقة الفضاءات الريفية محل الدراسة في الفترة القديمة، بإقليم مجاز الصفاء حاليا، كانوا يعتنقون الديانة الوثنية كغيرهم من المناطق المجاورة لهم وسكان العالم القديم، والجدير بالذكر أن هذه الفترة مرت بمرحتين، وهي مرحلة الوثنية قبل التواجد الروماني، التي كان لها تأثير بالآلهة الفينيقية والمصرية، ومن أهم الآلهة المعبودة تانيت وبعل حمون وبعل يدر، ومرحلة التواجد الروماني المبينة عقيدتها على

تعدد الآلهة (أبوزهرة محمد، ص.114)، ويمكن تخيل الآلهة في صور بشرية (سلامة أمين، ص.10)، وهذه الآلهة كان لها تأثير كبير على الآلهة المحلية.

واشتهرت هذه الفتره باستعمال الرمزية على الكتابات الأثرية، وأهم رمز استعمل في هذه الفتره هو الهلال، الذي كان يرمز به للإله بعل حمون وكذا رأس الخروف، كما استعمل الهلال وقرص الشمس للدلالة على الآلهة تانيت إلى جانب المثلث الذي يعلوه قرص، كما أن هناك العديد من الرموز الأخرى للدلالة على مختلف الآلهة المحلية.

تطبيقا لسياسة الرومنة في شمال إفريقيا، تم دمج ورومنة الآلهة المحلية وعلى الخصوص بعل حامون وتانيت، ليتحول بعل حامون إلى ساتورنوس وتانيت إلى سريس (قداش محفوظ، 1993، ص.33) أو كايستيس (محمد الهادي حارش، ص.146)، كما تطورت الرمزية في تلك الفتره، فالملاحظ والثابت من خلال الكتابات الأثرية الظاهرتين أدناه (الصورة رقم 05) أن من بين الآلهة التي كان يعبدها سكان المنطقة، هي الآلهة تانيت والآلهة ماناس والإله بعل حامون.

الأكيد من خلال الكتابات الأثرية اللاتينية، أنها كانت تتضمن إهداء للآلهة الوثنية المعروفة باسم ماناس المقدسة من خلال عبارة (D. M. S)، التي تعد اختصارا لجملة *Dis Manibus Sacrum*، وهذه الآلهة تخص آلهة الأرواح المقدسة عند الرومان في الفتره القديمه، والتي كانت تعرف باسم *Mânes* (Mommsen Th. & Marquardt J., 1885. P.148)، كما تحدث الباحث Reboud عن وجود معبد صغير بمنطقة عين تحميمين دون تحديد موقعه أو وصفه (Reboud V., 1883.p. 104)، وهو نفس الشيء بمنطقة كدية البطوم بمشته الرصفة، ونجد أن هذه الناقشات الجنائزية جمعت بين الطابع المحلي للآلهة والأجنبي، حسب ما هو ظاهر من الكتابة والرموز التي احتوتها.



الصورة رقم 05 (Calmettes F., 1870, planche III)

إن الكتابات الأثرية محل الدراسة، لم تعطنا أي معلومة حول طبقات رجال الدين، ما عدى اسم أحد الآلهة المعبودة بالموقع في ظل تعدد الآلهة، لأنه في الفتره الوثنية كان لكل ظاهرة إله يعبد وفق طقوس محددة من قبل رجال الدين، الذين يسهرون على تنفيذها واحترامها عن طريق تقديم القرابين وفق تلك الطقوس (محمد الهادي حارش، ص.149 و150)، تجنبا لغضب الآلهة وسعيا لمرضاتها، كما تحدث الباحث الملازم Abel Farge من خلال عرضه SACRVM TEBESSA لمقدسات مدينة تبسة عن تواجد مذبح وطاولة جنائزية بمنطقة عين تحميمين (Abel FARGES, 1881. P 226).

إن الفترة الوثنية قديما، سواء قبل التواجد الروماني أو خلاله، عرفت تعدد الآلهة المعبودة والطقوس المقررة لعبادتها، فلكل إله طقوس وقربان تخصصه، وبالضرورة ما دام قد ثبت تواجد الوثنية بالمنطقة، ثبت تعدد الآلهة المعبودة، التي لم نعثر على أي معطيات حولها، سواء كانت بيبليوغرافية أو ميدانية، كما لم نستطع من خلال الكتابات التي توصلنا إليها أثناء البحث البيبليوغرافي التعرف عن الطقوس الدينية، التي كان يمارسها السكان في عباداتهم وتقديم القران للآلهة. فقد ثبت في المناطق المحيطة بالفضاءات المدروسة عبادة العديد من الآلهة، منها تانيت وإله بعل حامون، التي كانت منتشرة بكثرة في الفترة القديمة، خاصة قبل التواجد الروماني في منطقة شمال إفريقيا، الذي يعود لأواخر القرن الثاني قبل الميلاد، بالإضافة إلى انتشار الآلهة الرومانية بعد التواجد الروماني بالمنطقة منها الإله باكيس وكذا الإله مينيرفا وغيرها من الآلهة.

إلا أنه من خلال بحثنا هذا ومن خلال المعطيات البيبليوغرافيا التي توصلنا لها، توصلنا إلى حقيقة مفادها أن مجتمع الفضاءات الريفية محل الدراسة كانوا وثنيين، وهو الشيء الثابت من الكتابات محل الدراسة، التي تضمنت اسم الآلهة مناسب، واشتهرت المجتمعات الوثنية بتعدد الآلهة، والغريب في الأمر أننا لم نعثر من خلال بحثنا حول هذه الفضاءات، سوى على كتابات أثرية تضمنت اسم الآلهة مناسب حسب ما سبق الإشارة إليه، هذا ما يطرح عدة تساؤلات، منها هل اقتصر سكان المنطقة على عبادة الآلهة مناسب دون غيرها من الآلهة الأخرى، أم كانت هناك تعدد للآلهة وكباقي المناطق المحيطة بها، ولم تصلنا سوى الكتابات التي تضمنت اسم الآلهة مناسب؟.

2.3 الفترة المسيحية

ظهرت الديانة المسيحية على يد عيسى ابن مريم عليه السلام في بداية القرن الأول ميلادي، ولم يلقى هذا الدين الجديد قبولا من قبل الأباطرة الرومانيين ونخبة المجتمع الروماني وعلى الخصوص رجال الدين، الذين يعتبرون المحرك الأساسي للإمبراطورية، فتجدد الإشارة أن المسيحية في الفترة القديمة يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مراحل هامة، وهي مرحلة القمع، مرحلة التسامح والاعتراف، مرحلة الصراع المذهبي بين الأسقفيات.

فقد شهد معتنقوها في البداية اضطهادا وبطشا شديدا من قبل حكام الإمبراطورية الرومانية، ونفس الأمر في سائر الإمبراطوريات (محمد الهادي حارش، ص 225-228)، واعتنق الكثير من البربر هذا الدين الجديد (محفوظ قداش، 1993، ص 205 و206)، وتعرض المسيحيون للملحقات والتعذيب والقتل عبر مختلف أرجاء الإمبراطورية (نسيم واكيم اليازجي، ص 682 و696) إلى غاية صدور مرسوم قاليوريوس سنة 311 م، الذي عرف بمرسوم التسامح وعلى إثر ذلك وجد المسيحيون الهدوء والأمان، كما تم إرجاع أملاك الكنيسة.

بعد اعتراف الإمبراطور Gaius Flavius Valerius Aurelius Constantinus، المعروف باسم قسطنطينوس سنة 313 بالمسيحية، بموجب مرسوم ميلانو (نسيم واكيم اليازجي، ص 697)، الذي أضفى الشرعية على هذه الديانة، فأصبحت دينا رسميا للإمبراطورية الرومانية، وانتشرت الديانة المسيحية في أرجاء الإمبراطورية الرومانية ومختلف أرجاء العالم، وأهم أعمدها ومنظرها في الفترة القديمة القديس أوغسطينوس (Aurelius Augustinus)، الذي ولد في Thagaste بشمال إفريقيا وعاش بها معظم حياته، التي أفناها في خدمة الدين والعلم.

بعد الاعتراف بالمسيحية كدين وانتشارها في كامل أرجاء الإمبراطورية الرومانية، عاد من جديد الصراع حول هذا الدين وانتشرت موجة من الإضطهاد، نتيجة الصراع المذهبي بين الأسقفيات، بين الدوناتيين والكاثوليك في المسألة المتعلقة بالتوحيد، وخاصة الطائفة الأريوسية.

الشيء الأكيد والثابت أن سكان ومواطني الفضاءات الريفية بمجاز الصفاء أثناء الفتره القديمه، قد اعتنقوا الديانة المسيحية (JAUBERT H., 1913, p149) كباقي سكان المناطق المجاورة، خاصة إذا علمنا أن المنطقة محل الدراسة، تتوسط ثلاثة مناطق هامة في تاريخ المسيحية في الفتره القديمه، وهي من أهم المستعمرات الرومانية في شمال إفريقيا، مستعمرة Thagaste وكذلك مستعمرة Hippo Regius، التي كان أسقفا بها وكانت مركزا له للعبادة والعلم والدعوة للمسيحية، ومدينة Titiana التابعة لمستعمرة Thubursicum Numidarum والتي شهدت مناظرة هامة، تحت إشراف القديس Augustinus بين الدوناتيين والكاثوليك في المسألة المتعلقة بالتوحيد (Mercier E., 1888. P. 123)، وقد وجدنا من خلال البحث البيبليوغرافي حول المنطقة كتابة أثرية مسيحية، غير واضحة وغير مفهومة (Gsell St., 1922, p.12).



الصورة رقم 06 (Calmettes F., 1870, planche III)

رغم ثبوت تواجد المسيحية بالمنطقة من خلال البحث البيبليوغرافي، خاصة من خلال هذه الناقشة التي تضمنت في أعلاها صليبين معكوفين، فقد استعمل الصليب كرمزية في الفتره المسيحية في القديم، كما تؤكد ذلك الشواهد الناتجة عن الحفريات التي قام بها النقيب ROUVIERE بمنطقة كدية البطوم (Calmettes F., 1870, P. 194)، واستمر استعماله إلى غاية يومنا هذا وبنفس المعنى، لكن الغريب في الأمر أننا لم نعثر على أي دليل مادي من خلال البحث الميداني، يؤكد اعتناق سكان المنطقة للديانة المسيحية، رغم ذكر أحد الباحثين لوجود بازيليك صغيرة في مدينة MEXMEIA المتاخمة لكدية البطوم (Reboud V., 1883.p. 100)، التي لم يعطنا أي تفصيل لها سواء مخطط أو تحديد لموقعها، ولم يتم وصفها أو تبيان حالتها وطبيعتها، هل هي بازيليك بالمعنى الوثني أو بالمعنى المسيحي؟، ما أبقى هذا المعلم مجهولا في ظل غياب المعطيات البيبليوغرافية والميدانية، كذلك الكنيسة المتواجدة بحيط الموقع بمنطقة المقاسمية (Gsell St., 1901,p.230) هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، تجدر الإشارة أنه تعذر علينا من خلال البحث الميداني الذي قمنا به، خاصة على مستوى مقبرة كدية البطوم بمشقة الرصفة، المتكونة من عدد لا بأس به من التوابيت الحجرية، الذي فاق الخمسة عشرة تابوتا حجريا من مختلف الأشكال والأحجام، لم يتم العثور على أي دليل علمي يؤكد أن هذه المقبرة مسيحية.

4. خاتمة:

لقد كشفنا من خلال بحثنا هذا ووقفنا على معطيات هامة، حول مجتمع مجاز الصفاء أثناء الفترة القديمة والمستقاة من بعض المناقشات المنشورة في الدوريات والكتب، أين كشفنا عن بعض المعلومات ورفعنا نوعا ما الغموض المتعلق بالتركيبة البشرية، التي تعرفنا عليها من خلال الأسماء التي تضمنتها تلك المناقشات، كما تعرفنا كذلك على الديانات، وقد توصلنا من خلال البحث البيبليوغرافي، الذي قمنا به عن الفضاءات الريفية التابعة لها، رغم قلة المراجع إلى أهمية هذه الفضاءات، والمراحل التي عرفها مجتمع هذه الفضاءات الريفية أثناء الفترة القديمة.

حيث كشفنا من خلال بحثنا المتواضع عن الأهمية الحضارية للمنطقة وتنوعها الديموغرافي والديني، انطلاقا من المناقشات التي توصلنا إليها من خلال البحث البيبليوغرافي رغم قلتها، والقيام بتحليلها بالاستعانة بالعديد من المراجع، للوقوف على مجتمع هذه البيئة أثناء الفترة القديمة وإعطاء معلومات قيمة عن محتوى هذه الكتابات الأثرية، كما قمنا بتجميع معلومات لبأس بها حول هذه المنطقة، التي ما تزال عذراء وبحاجة إلى دراسات متخصصة معمقة وحفرية من قبل الباحثين، ولم نستطع الإحاطة بكافة الإشكاليات، التي تطرحها الفضاءات المدروسة من خلال هذا البحث، مما يبقي البحث مفتوحا للإجابة عنها مستقبلا، خاصة ما تعلق بالجانب الثقافي والديني.

ما هذا البحث إلا بداية وحجر أساس ولبنة لدراسة ما تزال متواصلة، لتسليط الضوء على الآثار الريفية والمجتمعات الريفية والكشف عن أهميتها، فهذه المجتمعات بحاجة إلى دراسات وأبحاث تفصيلية، لتذليل الصعاب وتنمية البحث العلمي في المجال الريفي، للكشف عن تنوع المجتمع وخصائيه، خاصة أن الريف في الفترة القديمة تعد الوجه الآخر للمدينة، وخاصة في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع، الذي شهد انحطاط المدينة، نتيجة لقانون المواطنة الصادر سنة 212 م، ولذا نحن نشجع البحث العلمي في هذا المجال لما له من أهمية كبيرة في تنظير مفهوم الريف وعلاقته بالمدينة.

5. قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية

- 1- أبو زهرة محمد، محاضرات في مقارنة الأديان، القسم الأول الديانة القديمة، دار الفكر العربي.
- 2- نسيم واكيم اليازجي، الحضارات القديمة، الجزء الثاني، منشورات دار علاء الدين، الطبعة الأولى.
- 3- سلامة أمين، الأساطير اليونانية والرومانية، كتاب منشور على الموقع الإلكتروني: www.noor-book.com.
- 4- قداش محفوظ، الجزائر في العصور القديمة، ترجمة صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، طبعة 1993.
- 5- محمد الهادي حارش، التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة

الجزائرية للطبع.

المراجع باللغة الفرنسية

الكتب

1-D'Anville M., Géographie ancienne abrégée, Tome 3, contenant l'Afrique, Aug Delalain imprimeur libraire, Paris.

2-Gsell St., 1902, Atlas Archéologique de L'Algérie, Alger/Paris.

3-Gsell St., 1922, Inscriptions latines de l'Algérie, Tome 1, Inscriptions de la proconsulaire, T.I, Librairie Ancienne Honoré Champion, Paris.

4-Gsell St., 1927, Histoire ancienne de l'Afrique du nord tome 2 les Royaumes indigènes organisation sociale, politique et économique, Librairie Hachette, Paris.

5-Gsell St., Les monuments antiques de l'Algérie, description des sanctuaires Chrétiens de l'Algérie, tome 1, ancienne librairie Thorin et Fils, Paris 1901.

6-Toulotte A., 1894, Géographie de l'Afrique chrétienne Numidie, Typographie oberthur, RENNES, Paris.

الدوريات

1-Abel Farges, 1881, Simples réflexions au sujet de la découverte d'un SACRVM a TEBESSA, Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine, volume 20, Imprimerie L. Aroles ad. Braham, Constantine.

2-Calmettes F., 1870, Section d'épigraphie, séance du mardi 1février 1870, Comptes rendus de la Société française de numismatique et d'archéologie, Tome 02, au siège de la société, Paris

3-Faidherbe, 1873, nouvelles inscription Numidiques de sidi Arrath, revue Africaine : journal des travaux de la Société historique algérienne. Tome 17, A. Jourdan libraire éditeur, Alger.

4 -JAUBERT H., 1913, Ruines chrétiennes du diocèse de Constantine (Nurnidie et Maurétanie Sitifienne), Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine, Volume 46, Imprimerie D. Braham, Constantine.

5-Mercier E., 1888, Sur les Ruines et les Voies Antique de l'Algérie dans Bulletin archéologique du comité des travaux historique et scientifiques, N 01, Ernest leroux editeur, Paris.

6- MOUGEL L., Quatre kilomètres de promenade archéologique sur la rive droite du Melah, Bulletin de l'Académie d'Hippone N 16, imprimerie Dagand, Émile Thomas, successeur, Bone 1881.

7-Mommsen Th., Marquardt J., 1885, Manuel des Antiquités Romaines- le culte chez les Romains, T.2 (traduit de l'Allemand par Brissaud M., Paris.

8- Reboud E., 1883, NINIBA (vicus Juliani) point de réunion des voies Romanes allant de Carthage et de Theveste a Hippo-Regius dans Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine, volume 22, Jourdan libraire éditeur Alger, Challamel aîné éditeur, Paris.